كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في ندوة تحت عنوان "مرصد اللّغات العربيّة وأخواتها في رحاب النادي الثقافيّ العربيّ"، يوم الجمعة الواقع فيه ١٦ شباط (فبراير) ٢٠١٨، في النادي الثقافيّ العربيّ، الحمراء شارع عبد العزيز، بناية يارد، الطابق الثاني.

اليسوعيّون في رحاب العربيّة

الأب روفائيل نخله اليسوعيّ نموذجًا

١- يغمرني فرح عميق هذا المساء، وأنا أقف أمامكم في "النادي الثقافيّ العربيّ" كي نحتفل معًا بانطلاق أوّل مشروع دراسة يقترحه "مرصد اللّغات العربيّة وأخواتها" في "جامعة القدّيس يوسف" في بيروت تحت إدارة المدير النشيط البروفسور هنري عويس الذي غطّسته أمّه يومًا في مِرجَل اللّغة فاستساغ المناخ وهو لم يزل يسبح فيها يلتقط منها ما هو سمين وثمين. ولا بدّ لي من أن أنوّه بالدعمين المعنويّ والماديّ اللذين قدّمهما مشكورًا "النادي"، توكيدًا منه على أهميّة المشروع، وعلى التزامه الأصيل بالعربيّة، لغتنا الحبيبة.

إنّ موعد اللّقاء هذا يقع بين تاريخين مهمّين أوّلهما يوم اللّغة العربيّة العالميّ المقرّر في الثامن عشر من شهر كانون الأوّل (ديسمبر) وثانيهما يوم اللّغة الأمّ المقرّر في الواحد والعشرين من شهر شباط (فبراير)، لكأنّ هذا الموعد يضعنا بين منزلتين ولا أغلى : منزلة الإعتراف بالضاد كلغة عالميّة من جهة، وكذلك بأمومتها بالنسبة إلينا من جهة ثانية. واللّغة الأمّ، تمامًا كالأمّ، لا تحول بين أولادها واللّغات الأخرى، لذا نرى "المرصد" في تسميته قد أشار الى "أخوات العربيّة"، واقترح في لائحة مشاريع الدراسة التي ينوي القيام بها مشروعًا بعنوان : "العربيّة ترتدي ثوب الإسبانيّة : ألف ليلة وليلة نموذجًا". ويسعدني أن يكون شريك

المرصد منذ سنوات طويلة، عنيت "السفارة الإسبانيّة في بيروت"، قد تكفّل باستضافة الأستاذين : "سلفادور بنيا" الذي ألبس "ألف ليلة وليلة" ثوبه الإسبانيّ، و"لويس ميغال كانيادا" الذي واكب العمل فصار قادرًا على الشهادة له.

ولأنّ الكلام يدور على الشراكة، فلا بدّ لي من التوقّف عند شريك قامت بيننا وبينه منذ عهود أسلافي رؤوساء الجامعة، علاقات تجسّدت بمشاريع كبرى، أكان في الجنوب أم في بيروت، عنيت "مؤسّسة رفيق الحريري" التي تديرها بحنكة الصديقة سلوى السنيورة بعاصيري. ولم تغب عن بال المرصد اللّغة الفرنسيّة التي يقترح لها مشروع دراسة ثالث حول "المفردات المهاجرة من العربيّة إلى الفرنسيّة، ومن الفرنسيّة إلى العربيّة".

ولئن خرجت من أحرمة الجامعة إليكم، فذلك لأنّ الجامعة لا يمكنها أن تبقى جامدة، قانعة بمن يأتي إليها، في حالة تقوقع، بل خرجت إلى هياكل العلم وقصدت الآخر وزارته وتعرفت إليه. ولعلّ خير مثال على هذا الانفتاح هو إتّفاق التعاون الذي وقّعناه، منذ شهر تقريبًا، مع "الجامعة الاميريكيّة في بيروت"، وتبادل الخبرات مع الجامعات الأخرى.

بودّي أن أتوقّف هنا عند فاصلة تاريخيّة لأقول التالي :

إنّي بصفتي رئيسًا لجامعة القدّيس يوسف أقفُ متكلّمًا في النادي الثقافيّ العربيّ الذي كنت أرتاده شخصيًّا في السبعينات من القرن الماضي لمتابعة بعض المحاضرات الشيّقة من شخصيّات مرموقة، تحضرني الفكرة أنّ النادي تأسّس ندًّا للندوة اللبنانيّة التي كان وراءها مجموعة من المفكّرين جلّهم من قدامى جامعتنا وعلى رأسهم الأستاذ ميشال أسمر في حين أنّ من دعموا وأداروا النادي الثقافيّ العربيّ كان لهم علاقات قويّة بالجامعة الأميركيّة في بيروت. واليوم تبدّلت الظروف والأيّام، فالندوة اللبنانيّة توقّفت عن العمل وأصبحت محفوظاتها وأرشيفها في عهدة جامعتنا واليوم انفتحت الطريق بين رأس بيروت وطريق الشام

فأصبحت الجامعة الأميركيّة والجامعة اليسوعيّة على تواصل شبه يوميّ وبينهم مشاريع مشتركة في مختلف الميادين وتمّ توقيع إتّفاقيّة تعاون شاملة بيننا لتعزيز العمل العلميّ والأكاديميّ المشترك. فهذا الوطن لا يقوم إلاّ بتضامن قواه الفكريّة والإجتماعيّة والعلميّة.

٢- أمّا بخصوص علاقة الآباء اليسوعيّين وجامعتهم باللّغات عامّة فإنّي أقول إنّ ألف علاقة وعلاقة تربطهم بها ذلك أنّ أعمال الآباء والجامعة، تخطّت أحادية اللّغة إلى تعدّد اللّغات، نزوّد بها خرّيجينا فينتقلون بينها بيسر وسهولة، فتشرق الآفاق برّاقة أمامهم. غير أنّني أرغب في أن أتوقّف عند نتاج واحد وضعه "الأب رفائيل نخله اليسوعيّ"، وصدرت الطبعة الأولى منه في حلب سنة ١٩٥٤، وقد بلغت طبعته السادسة سنة ٢٠١١، عنيت به كتابه بعنوان "غرائب اللّغة العربيّة" وأتوقّف عند مقدّمة الطبعة الثانية المؤرّخة في القاهرة ١٢ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٥٩ التي يشير فيها إلى أنّ الكتاب لاقى رواجًا كبيرًا، مؤكّدًا على "أنّ أوضح الدلائل على ذلك الرواج أنّ وزارة معارف العراق قد اشترت خمسًا وسبعين نسخة لمكاتب أساتذة مدارسها" وتقع الطبعة الثانية في ثلاثة أبواب يتوزّع كلّ باب منها على فصول متعدّدة. وجاء الباب الأوّل بعنوان "بعض غرائب القاموس العربيّ" وحمل الباب الثاني : "تأثير العربيّة دون سواها في نحو مئة من لغات العالم" وأشار الباب الثالث إلى "الكلمات الدخيلة في العربيّة" وأستميحكم عذرًا إن أخذتكم في جولة قصيرة على كلّ باب، كأن نتوقّف في الأوّل عند الافعال الدالّة على أصوات الأشياء من مثل الماء فيقال حبحب الماء (أي سال قليلاً)، وبالنسبة إلى الريح ذعذعت الشجر (أي حرّكته بعنف) ص. ٤٧ أو نتوقّف عند الكلمات المنحوتة أي المركّبة من كلمتين أو أكثر من مثل حسبَل "أي قال حسبي اللّه" أو مشكَن "أي قال ما شاء اللّه كان" ص. ٥٢ أو عند الاتباع من مثل : جاء بالهوش والبوش (أي بجمع كثير) وتركهم هوشًا بوشًا : أي مختلطين ص. ٦٢ ولا بدّ من أن نزور في استكشافنا معاني أسماء الاعلام من مثل تامر أي

"صاحب التمر، الكثير التمر" أو عيّاش أي "بائع العيش أي الخبز، صيغة مبالغة من عائش في الرفاهة" ص. ٩٦.

ونعرّج على الباب الثاني فيستقبلنا الفصل الاوّل بعنوان : "إنتاج العربيّ لعدّة لغات عاميّة" ويذكر الأصل العربيّ المجهول لكلمات من لغة لبنان وسورية العاميّة من مثل أحّ : سعل، دعس : داس، مطرح : مكان يطرح اليه ص.١٢٢/١٢١، أمّا الفصل الثالث فيتوقّف عند تأثير العربيّة في أكثر لغات أوروبة ويأتي بجدول مؤلّف من "مئة وخمس كلمات عربيّة اندمج كثير منها في لغات أوروبه" وأكثرها معروف من مثل ترجمان وأمير البحر والموصل والكحل والكيمياء الخ... ص. ١٣٤/١٣٢ ويأتي بجداول يذكر فيها بعض الكلمات الإسبانيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة المقتبسة من العربيّة من غير أن ينسى لغات أخرى اقترضت منها من مثل الرومانيّة والبلغاريّة والألبانيّة الخ... وإذا تابعنا الجولة لمسنا في الباب الثالث حركة التبادل الناشطة بين العربيّة وأخواتها عندما حلّ الدخيل فيها، وقد خصّه أيضًا بجداول كلمات مقتبسة من الآراميّة، والعبرانيّة، والفارسيّة، واليونانيّة، والتركيّة، واللاتينيّة والايطاليّة والفرنسيّة الخ... ويقيم في آخر الكتاب جدولاً أبجديًّا عامًّا للكلمات الدخيلة نذكر منها: آب (الآراميّة)، إبريق (الفارسيّة)، افيون (اليونانيّة) ص. ٣٢٤/٢٨٩.

٣- ويقودني ما سبق على سرعته إلى أن اللّغات ليست في حال عداء أو حرب في ما بينها، إنّما هي تتعاون وتتبادل الهدايا لسدّ حاجات الناس وتأمين التواصل بينهم، وهي كما حال الناس إذا شعرت بالحاجة لجأت إلى "الاقتراض" كي لا تشعر بقلّة أو عوز يقودان إلى الجوع. ولا شكّ في أنّ الخروج إلى لغات أخرى وتعرفها وإتقانها من شأنه أن يغني لغتي الأمّ، كما من شأنه أن يجلب من لغتي الأمّ ما يغني اللّغات الأخرى ويسدّ حاجاتها فلا تقع بالحرمان والعوز فالانقراض. والعربيّة لغة حيّة لها سجلاّتها ومستوياتها، كما لها خصوصيّاتها ومداخلها ومخارجها، وهي تستمدّ ما تحتاج إليه من اللّغات الأخرى

بعفويّة، من غير أن تعرّض سيادتها إلى خطر. وهي كريمة تمدّ اللّغات الأخرى بما عندها من ثروة، في حركة دائمة ليس من السهل أن يوفّق الزمن في وضع اليد عليها، أو التخفيف من سرعة استجابتها لمتطلّبات العصرنة والتحديث. ولكم يبلغ منّا الحبور مبلغه، من غير أن يدرك التبجّح والتكبّر، عندما نرى صرحًا في باريس يعرف باسم "معهد العالم العربيّ" وكذلك في مدريد باسم "البيت العربيّ"، وأغتنم الفرصة لأوجّه تحيّة خاصّة لمديره بدرو مارتينيز آفيال الذي جاء يشاركنا فرحة انطلاقة أوّل مشروع دراسة يتقدّم به المرصد، وفي غيرهما من العواصم، حيث تُعلَّم اللّغة العربيّة ويُقبل عليها الطلاّب، تسحرهم ليس بصور العرب والشرق المنمّطة، إنّما بمفرداتها وتسمياتها وبناها المسكوبة في شعرها ونثرها، وفي مشافهتها ومكتوبها، وهي تقف بين سائر اللّغات العالميّة ولسان حالها يردّد شهادة من قال، وذهب قوله مأثورًا : "وأنا من كان يحسب أنّ لغتي هي أبهى اللّغات وأدقّها أدركت أنّ لسائر اللّغات عليها أكثر من يد بيضاء".

أجدّد امتناني لكم جميعًا، وأتمنّى لكم التوفيق وأعاهدكم لقاءات أخرى حول مواضيع جديدة.